الدراسة الصوتية عند علماء العرب قديما وحديثا من خلال نماذج مختارة
-دراسة وصفية تقييميّة-

The phonetic study of Arab scholars, ancient and modern, through selected models
-Descriptive evaluation study-

د.فايزة حريزي

(المركز الجامعي مرسلي عبد اللّه .تيبازة .)

harizifaiza0@gmail.com

تاريخ الارسال 2021/08/22.	تاريخ القبول2021/11/04.	تاريخ النشر2021/12/15.

الملخص		**Abstract**
إذا تكلمنا عن التراب اللغوي العربي وفروعه ،وجدنا أهم فرع فيه هو الصوتيات وهذا الجانب أبدع العرب فيه ،وفي مختلف المفاهيم والأبواب التي تمثله وتحدده كعلم قائم بذاته ، بحيث أغلبية أمهات الكتب والمؤلفات على اختلافها التراثية اللغوية تحتوي ابداعات صوتية لربما لا تجد لها شبها في غيرها من المؤلفات ، وليس فقط في المؤلفات التراثية بل حتى في المؤلفات الشرعية واللغوية ، لانّ الجانب الصوتي أساس توجيه النص القرآني وهو خادم للنص الديني لأنّ جانب التأدية ضروري في ورود النص الديني على أكمل وجه له ،ومثل ما يعرف أنّ الدراسة الصوتية كانت مبثوثة في		If we talk about the Arabic linguistic soil and its branches, we find the most important branch in it is phonetics, and this aspect is the creativity of the Arabs in it, and in the various concepts and sections that represent it and define it as a science in its own right, so that the majority of the mothers of books and literature of different linguistic heritage contain phonetic creations that you may not find similarity in others. From the literature, and not only in the traditional literature, but even in the legal and linguistic literature, because the phonetic aspect is the basis for directing the Qur'anic text and is a servant

مؤلفات القدماء أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه و ابن جنّي مع مباحث لغوية أخرى دون مؤلفات خاصة بها الاّ مع ابن جنّي ولكن كانت جد قيمية وجادة ،أمّا حديثا فبداية الدراسة الصوتية يؤرخ لها باتصال العرب بالغرب مع مطلع القرن 20م باعتبار الدراسة الصوتية تمثل مبحث مهم من المباحث اللسانية ونجد ممن أولى أهمية كبيرة له إبراهيم انيس وكمال بشر وعبد الرحمن الحاج صالح وكانت الدراسة الصوتية عندهم تتسم بجدة وحداثة .		of the religious text because the performance aspect is necessary in the arrival of the religious text in the fullest way to it, and as it is known that the phonetic study was transmitted in the writings of the ancients The likes of Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi, Sibawayh and Ibn Jinni, with other linguistic investigations, without their own books, except with Ibn Jinni, but they were very valuable and serious. alsawtiat eindahum tatasim bijidat wahadatha . As for recently, the beginning of the phonetic study dates back to the contact of the Arabs with the West at the beginning of the 20th century, considering that the phonetic study represents an important topic of linguistic investigations.
الكلمات المفتاحية: الدراسة الصوتية، علماء العرب، قديما، حديثا نماذج مختارة، دراسة وصفية، تقييمية.		**Keywords** : Phonetic study, Arab scholars, old and new, selected models, descriptive, evaluative study.

المؤلف المرسل: د. فايزة حريزي، **الإيميل**: harizifaiza0@gmail.com

مقدمة :

تعدّ الدراسة الصوتية من العلوم اللغوية الأولى عند العرب وهو مقدمة لبقية العلوم وذلك لأهميتها من خلال اتصالها بصفة مباشرة بالقرآن الكريم وتأديته وفي هذا كانت البحوث جد جادة من ناحية التناول بدافع الحاجة لذلك ، وهذا نوع من الدراسة جاء خدمة للقرآن الكريم باعتباره نصا مقدسا وكذلك خدمة لكيفية تأدية النص القرآني ،من حيث التجويد والترتيل وفي هذا كان الصوت بفروعه وأصوله حاضر فيه كأساس مهم من الأسس المهمة ، واذا تمعنا في الجهود التي كانت في هذا المجال انقسمت بين جهود علماء اللّغة والتجويد والقرآن الكريم والقراءات وجهود البلاغيين وكان الأثر الذي تركه كل في مجاله أثرا كبيرا ومهما في مجال الصوتيات العربية ،وما أملته مباحثها من بحوث تناظر ما توصل إليه المحدثين في مطلع القرن 20م ، وعلى غرار ذلك يمكن القول بأنّ من ناحية الوضع النظري لهذا العلم بأسسه وقواعده كان متأخرا ولكن مثله مثل بقية العلوم كان متضمنا ومبثوثا في أمهات المؤلفات وفق تنوع مباحثه والقضايا المتناولة فيه.

***مراحل التاريخية لعلم الأصوات:**

إذا تكلمنا بصفة عامة عن الدراسة الصوتية دون تخصيصها عند العرب، فنجد من بين الأقوام الذين برعوا في هذه الدراسة الهنود باعتبار الصوتيات كانت تعتبر عندهم العلم الأهم والأكثر أهمية، في الاعتناء من ناحية الدراسة لما له من علاقة بكتابهم المقدس" الفيدا" ونصوصه وهذا العلم باعتباره الراعي الأول لصيانة نص هذا الكتاب الديني المقدس وحمايته من التحريف والتغيير فكانت لهم في هذا مباحث جد متقدمة في الدراسة والتطبيق فقد كانت تحمل الصبغة الدينية باعتبار الهدف ومدونة الدراسة.

-بحيث كان الهدف ديني والمدونة دينية –التي أكسبت هذا العلم بمباحثه صبغتها الدينية وكانوا ممن برعوا فيه، وكان بعدهم للغرب بحوثا قيمية قدموها في نفس المجال وهذا ما يؤكده أحد المستشرقين بقوله " ... لم يسبق الغربيين في هذا العلم (أي علم الصوتيات) إلاّ قومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند –يعني البراهنة-والعرب، وأول من وضع أصول هذا العلم من العرب الخليل بن أحمد الفراهيدي"[1].

وفي هذا برعوا الهنود وهم من الأوائل ولكن العرب ما قدموه لا يقل أهمية وبشهادة كبار المؤرخين واللسانيين العرب والغرب وخاصة ما أدلى به أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وفق منهجية علمية وموضوعية لها من تقنين نصيب كمباحث قائمة بمسميات ولها تفريع وتبويب.

ومن ناحية التاريخية نجد قد كانت الانطلاقة على يد أبي الأسود الدؤلي في وضع الشكل الإعرابي للقرآن الكريم فقد أمر كاتبه قائلا "أن يضع نقطة، فوق الحرف حين يراه يفتح شفتيه فتكون هي الفتحة، ويضع نقطة تحت الحرف حين يراه يخفض شفتيه، وهذه هي الكسرة، ويضع نقطة بين يدي الحرف أي أمامه حين يراه يضم شفتيه وهذه هي الضمة، فاذا أتبع الحرف الأخير غنة فينطق نقطتين فوق بعضهما وهذا هو التنوين"[2].

وهذه الالتفاتة الصوتية والتي تمثلت في وضع النقط للمصحف الشريف تعتبر كبداية تاريخية للبحث الصوتي عند العرب باتفاق واختلاف في الأراء انطلاقا من وجهة نظر خاصة تمثلت في زاوية البحث التي ينطلق منها كل باحث بحيث هناك من لا يعتبر أنّ هذا الصنيع الصادر من أبي الأسود الدؤلي هو بداية التأريخ للبحث الصوتي وإنّما الانطلاقة العلمية والموضوعية للبحث الصوتي كانت مع "الكتاب" لسيبويه و"الخصائص" لابن جنّي "وما في الكتابين من مباحث صوتية مهمة ولكن المغلب يبقى والمتفق عليه أنّ الدراسة الصوتية كان منشأها في رحاب القرآن الكريم وذلك حسب ما تقتضيه السلامة النطقية واللغوية في أداء النص القرآني والدراسة الصوتية مجالاتها تعددت لذلك كان هناك ثراء المنتوج الصوتي على غرار المباحث اللغوية الأخرى سواء صوتية أو نحوية أو دلالية .

بحيث إهتم بهذا المجال القدماء من القراء والنحاة وعلماء الأصول وحتى الفلاسفة وعلى اختلاف مشاربهم العلمية في هذه التخصصات، ولكن اللّغة كما يعبر عنها ابن جنّي في أدق تعاريف لها يقول أنّ" حدها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[3].

ومن هنا فالمنطق في اللّغة كظاهرة إنسانية ولسانية أصوات وهو أصغر وحدة مكونة لها ويعتبر لبنّة أساس لبقية المستويات الأخرى كالمستوى الصرفي والتركيبي والدلالي. ولذلك فاعتماد على قصة أبي الأسود الدؤلي (68هـ) كمنطلق للتأسيس للدراسة الصوتية هذا فيه من الحقيقة العلمية والموضوعية نسبة كبيرة، رغم اختلاف الآراء كما سبق الإشارة الى ذلك ويتبين لنا من هذا أهمية الصوت العربي كمنطق في الدراسة باعتبار أنّ هذا المبحث صوتي الذي انتبه إليه سيبويه كان في فترة قديمة مبكرة جدا.

ولكن تبقى مباحث الدراسة الصوتية متفرقة في مختلف المصنفات اللّغوية وأمهات الكتب ولم تفرد لها مباحث ومصنفات لها الاّ في فترة متأخرة عن فترة أبي الأسود الدؤلي باعتبار مصنفات القدماء كانت تتميز بالموسوعية من ناحية الاحتواء لذلك كانت صرفية ونحوية وعروضية وبلاغية وأدبية وموسيقية وفيها من الحكم ما لا يحصى وحتى في بعض الأحيان تتعدى ذلك الى القراءة والتجويد، تناولوها مختلطة باعتبار موسوعية المصنفات اللغوية التي كانت تضم عدة مباحث.

ومن بين الأعمال التي ميزت هذه المرحلة وتمثلت في "نقط الاعراب والاعجام"، فما يلمس فيما بعد على منوال هذا العمل هو ما اكتمل بعمل الخليل بن أحمد الفراهيدي من تعديلات "اذ جعل الضمة واوا صغيرة تكتب فوق الحرف. والفتحة ألف صغيرة منطوحة فوق الحرف والكسرة ياء صغيرة تكتب تحت الحرف، فهذه الحركات القصيرة الثلاث مأخوذة من صور حروف المد الثلاث. ثم جعل للشدة علامة رأس الشين. وللكسرة علامة رأس خاء، وعلامة المد علامة للروم والاشمام... وقد زاد على هذه العلامة من التحسين ما جعلها على حالها التي نراها "[4].

وكانت تعتبر الدراسة الصوتية مجملة في عمل الخليل بن أحمد الفراهيدي إضافة إلى عمل أبي أسود الدؤلي التي تعتبر إرهاصات أولية للبحث الصوتي العربي وما تصدّرته من دراسات عرف بها وتنم عن عملية بحث أولية فيه مثل ما سبق وأن ذكرناه باعتبار الصوت أساس الدراسة.

حتى في البحث اللساني الحديث يعتبر الصوت بمستواه اللبنّة الأولى، فقد يبقى الاختلاف في المفاهيم والاصطلاحات التي تطلق على مختلف مباحثه وقضاياه إلا أنّه تبقى الروابط العلاقة القائمة بين ما أدلى به القدماء والمحدثين ولكن فقط بصيغة جديدة وموضوعية ويطبعه الجانب العلمي أكثر من البحوث اللغوية القديمة، ويعتبر العرب كما يقال من كان لهم قصب السبق في هذا دون اغفال جهود الأمم الأخرى خاصة الهنود كانت الدراسية الصوتية جد متطورة عندهم.

وما يمكن قوله "أنّ الدراسات الصوتية العربية نشأت، نشأة أصيلة وتطورت تطورا ذاتيا، استجابة لحاجة الناطقين بالعربية والدارسين لقواعدها، وقطعت شوطا بعيدا وجاءت الصوتيات العربية مؤسسة عليه ومكملة له، ويعترف بعض المؤرخين لتاريخ الدراسة الصوتية اللغوية في العالم بسبق الدراسة الصوتية دون غيرها في تثبت الحقائق هذه الدراسة على أسس علمية "[5].

وهذا القول يمكن لمس حقيقته من خلال تصفح أمهات الكتب اللغوية العربية لما أولته من عناية لمختلف القضايا الصوتية، بحيث كان يخصص ضمنها مبحث يهتم بالصوت وأهميته وخاصة في البعد

الأدائي باعتبار مختلف الدراسات اللغوية العربية دافعها ومنطلقها ديني ولذلك كانت تهتم بالبعد الادائي أكثر من اهتمامها ببقية القضايا الأخرى.

***مصادر الدرس الصوتي العربي (قديما وحديثا):**

تنوعت المصادر اللغوية الصوتية قديما وحديثا وذلك لأهمية هذا الفرع اللغوي في الدراسات اللغوية قديما وحديثا ولتشعبه وللحاجة اليه، ولذلك نجد مجالات الاهتمام به تنوعت وتعددت بحيث "تناولها بالبحث علماء العربية من نحاة ولغويين كما تناولها علماء قراءة القرآن، جعلوا من دراسة أصوات العربية وظواهرها في قراءة القرآن علما مستقلا سمي علم التجويد، ونشطت دراسة أصوات العربية في عصرنا على أيدي المستشرقين أولا، ثم على يد الباحثين العرب بعد ذلك وكانت حصيلة ذلك عشرات الكتب والبحوث التي أغنت علم الأصوات العرب"[6].

ويلمس من هذا أنّ الاهتمام بالتوجه الصوتي في الدراسات اللغوية أخذ حظه قديما وحديثا بدراسة وتمحيص وتدقيق والعناية وتجريب لتأكيد صحة مختلف النظريات إلاّ أنّه حديثا يلمس الدقة والموضوعية والبعد العلمي حاضر بقوة باعتبار طبيعة الدراسة اللغوية في مطلع القرن19م التي نادى أصحابها بضرورة التقيد بالأسس العلمية والمنهجية لمختلف الدراسات اللغوية بما فيها الدراسة الصوتية ،واهتمام المستشرقين حديثا بالدراسة الصوتية يشير الى قضية في غاية أهمية تلمس في الدراسة الصوتية العربية دون غيرها أي أنّها تناظر مختلف النظريات المتوصل في اللسانيات الحديثة من حيث المفاهيم والمصطلحات والتوجيهات والدقة في الدراسة ولذلك انكب المستشرقين على دراستها وتنقيب عنها ومقارنتها بالدراسات اللسانية الحديثة ،في محاولة لتأليف على منوالها أو إخضاع النص العربي لها وفق البعد اللساني الحديث.

ومن بين هذه المصادر والمراجع نجد تمهيد في علم التجويد لابن جزري (833هـ) وكذلك التجديد في الاتقان والتجويد لأبي عمر بن سعيد الداني(ت404هـ) وكذلك الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس وأصوات اللّغة عبد الرحمان أيوب ودراسة الصوت اللغوي الدكتور عمر المختار.

***أهمية علم الأصوات ومدى الحاجة اليه:**

لعلم الأصوات أثر كبير في جميع الدراسات اللغوية، ولا يتصور أن تقوم دراسة لغوية في أي جانب من جوانب اللّغة وتتجلى أهمية علم الأصوات في العناصر الأتية:

1–الأبجدية والكتابة:

لقد عالجت الصوتيات وابجديات وما فيها من نقص أو عجز عن تصوير المنطوق تصويرا دقيقا وأمينا وذلك بأن قدم ما يعرف الان (بالكتابة الصوتية) وذلك بان يكون لكل صوت منطوق رمز خاص به[7].

2–النحو:

دراسة النحو في حاجة إلى علم الأصوات. إذا تم دراسة النحو دراسة دقيقة الا بمراعاة القوانين الصوتية التي يتم في اطارها بناء جملة مفيدة[8].

3–الصرف:

يعدّ من أكثر العلوم استفادة من علم الأصوات فكيف يمكن أن تقوم دراسة صرفية كاملة للّغة دون وعي صوتي ومعرفة دقيقة لطبيعة الأصوات، والتي تكوّن الصيغة وخصائصها مثل التغيرات الصوتية التي تعترض الأصوات من الزيادة والحذف والتطويل والادغام...[9]

ويظهر لنا دور أهمية علم الأصوات في الخدمات التي يقدمها وهي: التحليل العلمي للّغة ونطق اللغات الأجنبية فأي إنسان يريد أن يتكلم لغة ما عليه أولا أن يتعلم كيف ينطق أصواتها بدقة كما ينطقها أبناء هذه اللّغة الأصليين.

تعليم الصم وعلاج عيوب النطق والسمع، إذ يساعد علم الأصوات الصم على الكلام حتى يمكن أن ينتجوا إشارات صوتية مفهومة ومساعدتهم على الاستقبال حتى يمكن أن يدركوا الإشارات المرسلة إليهم.

كما لعلم الأصوات دور في علاج عيوب النطق أو الكلام وذلك بالعمل على تصحيح الخطأ ويشرح كيفية النطق الصحيح للحرف مثلا: وتكليفه (أي المصاب) بعمل تدريب مستقلا عن طريق النظر في المرآة[10].

***الدراسة الصوتية عند المتقدمين (خليل بن أحمد الفراهيدي، وابن جنّي، سيبويه):**

يبحث علم الأصوات في الأصوات اللغوية من ناحية حدوثها وخواصها الفيزيائية وهو علم يركز بالدرجة الأولى على المادة الصوتية التي تعتبر المادة الخام لأية لغة من اللغات، وهي تستعمل بدرجة الأولى للتواصل الإنساني والتبليغ ويعتبر الصوت لبنة الأولية لتكوين المستويات الأخرى من اهتمامات الدراسة الصوتية لا تركز فقط على دراسة القدرات الكامنة لأعضاء النطق.

في أحداث الكلام بل يتم تجاوز ذلك إلى الطريقة التي تنتقل عبرها هذه الأصوات حتى وصولها إلى الأذن، بحيث يتم الانتقال الصوتي من الفم إلى الأذن وفق أليات متعددة ويظهر هذا من خلال تحليلها واكتشاف عناصر التشابه والتفارق والخصائص التي ترفق انتقال الموجة الصوتية وهكذا، كان الاهتمام بدراسة صوتية عند المتقدمين من اهتموا بالدراسة الصوتية جد متقدم ودقيقة وموضوعية وكانت على يدي كبار اللغويين أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبوبه وابن جنّي وغيرهم ممن تبعهم وهذا ما يؤكده أحد الباحثين.

و"بدأ اهتمام الدراسات الصوتية خاصة اللغوية عامة في البصرة هذا المصدر العلمي والحضاري الفريد على حافة الوطن العربي يجد على أيدي العالمين الكبيرين الخليل بن احمد الفراهيدي (175هـ) وتلميذه المجتهد سيبوبه (180هـ) حيث ترسخت أركانه على جهديهما، ويجمع العلماء على أنّ هذا العلم كان عندها ناضجا مكتملا مستويا "[11].

وعليه فالمتابعة المتأنية والقراءة المدّركة يمكن من خلالها حصر الاشتغال بالدرس الصوتي عند علماء العرب في أصناف ثلاثة كبرى كان لها الأثر الكبير في ظهور هذا العلم الجليل وتطوره الظاهر، وهم اللغويون وعلماء القراءات والفلاسفة ومن اللغويين هؤلاء، الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبوبه وأبو الفتح عثمان ابن جنّي ومن علماء القراءات مكي بن أبي طالب القيسي وإخوان الصفا وابن سينا .... وغيرهم.

وهذه تعتبر نماذج حية التي اهتمت بالدراسة الصوتية وقدمت بحوث جد متقدمة مازالت تعتبر مدونات للباحثين لما تضمنته من مادة عملية دسمة يتم دراستها وتمحيص وتدقيق فيها ومحاولة تحليلها واكتشاف درّها، وهذه الدراسة التقييميّة ليست حكرا على الباحثين العرب فقط وإنّما تطرق إليها من رواد لسانيات أمثال(تشومسكى) وفرديناند دي سوسير وكما أشرنا من بين هؤلاء المتقدمين الذين يمكن من خلال أعمالهم اكتشاف طبيعة الدراسة الصوتية نجد:

1-خليل بن احمد الفراهيدي(175هـ):

بحيث أهم المباحث الصوتية التي ظهرت كانت على يد الجليل بن أحمد الفراهيدي وكما يلقب بإمام النحويين واللغويين العرب وقد قدم للفكر صوتي بالذات أهم اسسه ومبادئه[12]، وخاصة من خلال أول مؤلف يؤرخ به للمعجمية العربية هو كتاب "العين" الذي كان ترتيبه وفق مبدأ صوتي.

كما يقول أحد الباحثين: "وكذلك فعلم الأصوات عند العرب واحد من العلوم التي ظهرت في القرن الثاني للهجرة، فكان الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) أول من شرع منهجية للناس في هذا العلم

موزعة بين معارف لغوية عامة ووجوه إقرائية خاصة بما يتعلق بقراءة القرآن الكريم وتحقيق نقطة وتجويد نطقه ...، وليس بين أيدينا أي دليل يشير الى أنّ أحد تقدم الخليل في هذا المجال لذلك يعد الخليل رائد العرب بلا منازع"[13].

ويقصد من هذا القول أنّ المباحث الصوتية التي توصل إليها الخليل وهي مباحث تأسيسيّه للصوتيات العربية خاصة فما يخص مخارج الأصوات وترتيبها والمصطلحات التي أطلقت عليها، له قصب السبق في هذا البحث فلم يذكر المؤرخين في كتبهم أنّه كان لغيره السبق في هذا وخاصة أنّها كانت دقيقة وموضوعيّة بحيث يرى المخزومي أنّ الخليل أول من التفت إلى صلة الدرس الصوتي بالدراسات اللغوية الصرفية والنحوية، وكذلك كان للدراسة الصوتية من العناية نصيب كبير، فقد أعاد النظر في ترتيب الأصوات القديمة.

الذي لم يكن مبنيا على أساس منطقي، ولا على أساس لغوي، فرتبها بحسب المخارج من الفم فكان ذلك فتحا جديدا، لأنّه منطلقا الى معرفة خصائص الحروف وصفاتها[14].

بحيث يعتبر الخليل أول من وضع الصوت اللغوي موضع تطبيق فني في الدراسة اللغوية التي تضمنها كتابه الفريد (العين) بل هو أول من جعل الصوت اللغوي أساس اللّغة المعجمي، فكان بذلك الرائد والمؤسس[15].

وكانت معه الدراسة الصوتية جد مضبوطة ودقيقة وقدم من خلالها مباحث صوتية مهمة شاملة لمختلف القضايا الصوتية إلاّ أنّه لم يفرد لها مؤلفات وانمّا كانت متصلة بعدة فروع لغوية بالتأصيل الحقيقي الذي سيلمس فيما بعد في طيات المؤلفات اللغوية للباحثين الذين سيأتون بعده وفيها تشابه إلى حد بعد فقط الاختلاف في تناول والتأويل والتفسير.

وما يلمس من عمل الخليل الربط بين اللغة والصوت في مختلف مراحلها وقضاياها ومراتبها.

***سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر)180هـ:**

من كبار اللغويين الذي اشتهر بكتابه "الكتاب" والذي يعرف بقرآن النحو بحيث، **واصل** سيبويه طريق أستاذه الخليل وسار على نهجة غير أنّه أدلى بالجديد في البحث الصوتي يختلف عما جاء به أستاذ ويظهر هذا في الكتاب في الجزء الرابع منه حيث "تضمن كتاب سيبويه مباحث مهمة عن الأصوات العربية خاصة في باب الادغام وباب الوقف"[16].

بحيث نلمس عدة قضايا صوتية خاصة في باب الادغام منثورة في كتابه "الكتاب" بالشرح والتفصيل.

ويظهر أنّ سيبويه كان على وعي تام بأنّ دراسة الأصوات مقدمة لدراسة اللّغة وأنّ النظام الصوتي ضروري لمن أراد دراسة النظام الصرفي لعله كان يرى أنّ النظام الصوتي جزء لاحق من الدراسة الصرفية نفسها حتى وإن عنوانها "الدراسة الصوتية" بعنوان (باب الادغام) وهذا ما يؤكده أحد الباحثين بقوله :"وقد عنى الأوائل بالقضايا الصوتية والصرفية وشغلت الدراسات الصوتية صفحات أمهات الكتب لاسيما (الكتاب) وهو أقدم ما وصل إلينا في النحو العربي فقد ضم أبواب قيمة في الدراسات الصرفية .والصوتية في أول الكتاب كما يفعل المحدثون وانّما جعل الدراسة الصوتية في آخر أبواب الدراسة واذا كان البحث الصوتي عند الخليل مفتاح العمل المعجمي فإنّ البحث الصوتي عند سيبويه وسيلة من وسائل التحليل الصرفي في المقام الأول "[17].

وقد كان لسيبويه الفضل الكبير في تصنيفه لصفات الأصوات من الجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط وكشفه الملامح الاطباق واللين وتمييزه لمظاهر الاستطالة والمد والتفشي[18].

***ابن جنّي (أبو الفتح عثمان بن جني 392هـ)**: يعتبر ممن نهض بأعباء الصوت اللغوي بما يصح أن يطلق عليه اسم الفكر الصوتي[19]، فقد كان له الفضل الكبير في تأليف أول كتاب مستقل في علم الأصوات "سر صناعة الإعراب" وكان أول من استعمل مصطلحات لغوية للدلالة على هذا العلم.

وجاء في الكتاب البحث اللغوي عند العرب انّه "أول من أولى المباحث الصوتية بمؤلف مستقل ونظر إليها على أنّه علم قائم بذاته ابن جني المتوفي (392هـ) في كتابه سر صناعة الاعراب، الذي تناول الموضوعات الصوتية الاتية:

1.عددحروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها.

2.بيان الصفات العامة للأصوات وتقسيمها باعتبارات مختلفة.

3.ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الاعلال والابدال أو الادغام

4.الفصاحة في اللفظ المفرد ورجوعها الى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج[20].

ويعتبر ابن جنّي من كانت له الريادة في هذا الفن بمؤلفه هذا الذي ضم أبوابا كثيرة وتعتبر موسوعة في علم الأصوات لما تضمنته من مادة دسمة في هذا الفن ويعتبر مرجعا مهما بمؤلفه هذا ،ما يلمس في هذا الكتاب أنّ ابن جنيّ مكان مسترسل ويفصل في مختلف القضايا الصوتية بحيث "يعطينا مهمة الفكر الصوتي في تحقيق المصطلحات العامة عن طريق تشخيص التي اسماها ،وإن سبق إلى بعضها عند الخليل ، وسيبويه ،وهو لا يكتفي بهذا القدر حتى يبحث في الفروق ،ويعين المميزات ويذكر

الخصائص لكل حرف من هذه الأصناف ،ويفرق بينها وبين الحركات ،مع لوازم البحث ومقتضياته إلماما بجميع الجوانب[21].

ومن هذا يمكن القول أنّ الفكر الصوتي عند ابن جنّي عالم العربية كان عبارة عن عصارة تجاربه مع هذا الميدان باستناد إلى مختلف المدارس التي سبقته إلى هذا، أمثال الخليل وسيبويه بحيث يتعرض في بحثه الصوتي إلى أصعب المشكلات الصوتية بحيث ينتقل من سطحية إلى جوهرية العمل الصوتي، وكان بحثه مكتملا في هذا المجال من ناحية العرض والأسلوب والنتائج.

***الدراسة الصوتية عند علماء العرب المحدثين:**

قد بيّن اللغويون و اللسانيون في عصر الحديث أهمية الدراسة الصوتية ويظهر ذلك من خلال مؤلفاتهم في مقابل الدراسة الصرفية والنحوية والدلالية التي يعطونها الأهمية الكبيرة ولكن رغم ذلك كانت هناك دراسات جد متقدمة في جانب الصوتي وذلك نظرا لأهمية هذا المستوى في مقابل المستويات اللغوية الأخرى ،وخاصة ان الدراسات اللسانية الحديثة في مطلع القرن 20 أولتها الكثير من أهمية باعتبار بنية اللّغة هي موضوع اللسانيات الحديثة وأساس مستوياتها ، المستوى الصوتي باعتباره الأساس في تكوين الكلمة والجملة وحتى الدلالة المتوخاة من البنية ككل وما كانت الدراسات الصوتية التي أدلى بها المتقدمين التي سبق وأن أشرنا اليهم أمثال خليل بن أحمد الفراهيدي و سيبويه و ابن جنّي في مقابل المحدثين اللغويين الذين كان لهم مساهمة معتبرة في الدراسة الصوتية أمثال (إبراهيم أنيس ,وعبد الرحمان الحاج صالح وأحمد عمر المختار).

1–إبراهيم انيس: (1906م) :هو من أعلام المصريين في اللّغة والآداب ويعتبر من العرب الذين كانوا في البعثات العلمية للخارج ونقلوا الفكر الغربي وخاصة اللساني للوطن الغربي ،وانصب اهتمامه بضرورة على دراسة الأصوات من خلال الدراسة والتمحيص والتدقيق فالتجريب من خلال مختلف الأعمال بمعية الطلبة والمخابر والمعاهد التي كان يدرس فيها. وفي هذا يشير كمال البشر بقوله "وفي الخمسينات من القرن العشرين عاد إلى مصر بعض المبعوثين، وشغلوا بتدريس علم اللّغة في دار العلوم عادوا من "لندن" بعد حصولهم على درجة الدكتورة ليتخطوا خطا جديدا في الدرس اللغوي في (الدار) وكان من أبرز ما صنعوا اعتماد على الأصوات مادة مقررة في جدول الدراسة[22].

وكان من بين هؤلاء إبراهيم أنيس بكتابه الخالد في العصر الحديث في الميدان الصوتيات "كتاب الأصوات اللغوية "[23] وكتب الأخرى ولكن هذا باعتباره أول كتاب متخصص له في علم الأصوات دون أقرانه آنذاك في صوتيات وكذلك من خلال المباحث الصوتية التي تناولها بشرح والتفضيل والتمثيل دون إغفال القراءة التراثية لها بمنظور لساني حديث ويعتبر هذا الكتاب مرجع مهم في الصوتيات للباحثين الذين أتوا بعده ونهجوا نهجة في الدراسة فاتخذوه مرجعا مهما نظرا لجودته وبساطته وتناول في هذا الكتاب العديد من قضايا الصوتية أهمها أعضاء النطق والمصطلحات الصوتية والمخارج والصفات والقضايا التي لها علاقة بعلم الأصوات.

2-عبد الرحمن الحاج صالح: بحيث "يعدّ عبد الرحمان الحاج صالح أبو اللسانيات العربية ومؤسسها من خلال تأسيسه لها بنية علمية موضوعية قائمة بذاتها من أبرز أعلام اللسانيات، قدم الكثير للسانيات العامة واللسانيات العربية من مواليد مدينة وهران ولد سنة .1927، أسس للسانيات الحديثة بنظرية علمية وموضوعية تسمى بنظرية الخليلية الحديثة التي حاول من خلالها قراءة التراث الخليلي قراءة لسانية حديثة وفق المتطلبات اللسانية العصرية التي تبانتها النظريات الحديثة.

وكانت هذه النظرية تناظر النظرية اللسانية الحديثة التي جاء بها دي سوسير السويسري وهذا بشهادة العديد من اللسانيين العرب والغرب وله قصب السبق في هذا وأصل لها عربيا.

وفي هذا الجانب قدم بحوث جد متقدمة في بعدها الحداثي اللساني وكان موسوعي وقدم حتى في صوتيات بحوث جد متقدمة باعتبارها مبحثا مهما من مباحث هذه النظرية ,التي قدم فيها الكثير من البحوث بحيث" نبغ عبد الرحمان الحاج صلاح في علوم اللسان فاغترف من مصادره قديما وحديثا"[24].

واستعان في بحوثه الصوتية بجانب التقنية وقدم في هذا البحوث جد متطورة مبنية على الدقة والملاحظة والتجريب المخبري الألى وفي هذا يقول صلاح بلعيد في إحدى محطته البحثية" وعلى هذا فلا بد من النظر الممعن في كل ما يصدر من .....النظريات وتمحيصها تمحيصا عميق ، والالتفات الى ما وجه لهذه النظرات من الانتقاد وإنّ الموضوعية في نفس البلدان التي ظهرت فيها وفي غيرها ،وقد حاول الباحث أن يتبيّن انّ التراث العلمي اللغوي الأصيل مما أبدعه الاولون ثري بالأفكار الأصيلة والمناهج النافعة والتحليلات العميقة وهي تقل قيمة عما جاءت به الدراسات الحديثة . وذلك مثل المفاهيم العربية في الصوتيات فقد تبين له بالاختيار والاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة أنّ أغلبها صحيح

وتنوعت الدراسات الصوتية عليه وكانت جد متقدمة دون إغفال الجانب الآلي وجانب تقنية لإعطاء لمحة عصرية توافق ما أملته الدراسات اللسانية في القرن 20"[25].

يمكن أن نستخلص من أنّ الدراسة اللسانية كانت جد متقدمة سواء عند القدماء مقارنة مع أقوام أخرى أمثال من برعوا فيها كالهنود واليونان باعتبار أنّ الهنود كانت لهم الريادة في البحوث الصوتية. وكانت متقدمة عن عصرها وما قدمه علماء العربية في هذا يبقى محل دراسة ونقاش وبحث نظير قيمته العلمية لأنّه لا يختلف عما أملته الدراسة الصوتية الغربية في مختلف قضاياها. والدراسة الصوتية عندهم تميزت بالأصالة أما المحدثين فنجد انها تمثلت في قراءات متأنية دقيقة مبنية على دراسة وتمحيص وتدقيق وفق منظور لساني حديث يواكب جانب التقنية الذي أصبح له محل في الدراسات الصوتية مثل ما نجده عند عبد الرحمان الحاج صالح.

الاحالات:

[1] -براجشتراسر ، التطور النحوي للغة العربية ،تر: رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرفاعي بالرياض ، 1982،ص:71.

[2] – إبراهيم جمعة ، قصة الكتابة العربية ، بيروت ، 1998، ط3،ص:39.

– أبو الفتح عثمان ابن جنّي .خصائص ،تح :محمد علي النجار .بيروت .دار الكتاب العربي.1952.ط2.ح1.ص:33

[3]

[4] – الداني ، محكم في نقط المصحف ، تح : حسن عزة ،دمشق ، 1960، ص: 04

– غانم قدوري الحمد ، المدخل إلى علم الأصوات العربية ، دار عماد للنشر والتوزيع ، ط1ن 2004، ص :11.

[5]

[6] –المرجع نفسه ، ص:13

–عبد العزيز أحمد علام ، عبد الله ربيع محمود ، علم الصوتيات ،مكتبة الرشد ، الرياض ، 2009 ، ص:25،26،.

[7]

–حازم علي أمال الدين ، دراسة في علم الأصوات ،ط1، مكتبة الآداب ، القاهرة ،1999، ص :277.

[8]

[9] – المرجع نفسه ، ص: 53

[10] – أحمد عمر المختار ، دراسة الصوت اللغوي ، د،ط ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1997، ص :40.

[11].- المدخل الى الموسوعة، ص: 194

[12]- عبد العزيز أحمد بوعلام ، وعبد الله ربيع محمود ، علم الصوتيات ، المرجع السابق ، ص: 76.

-احمد محمد قدور ، اللسانيات و أفاق الدرس اللغوي ، دار الفكر ، دمشق ، ط1، سنة 2001، ص:42،41.[13]

- محمد حسين علي الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن الكريم ، دار المؤرخ العربي ،بيروت ، لبنان ،ط1، سنة 2000، ص :39.[14]

[15]- المرجع نفسه ، ص:39 بتصرف.

-غانم قدوري الحمد ، المدخل إلى علم أصوات العربية ، دار عماد للنشر والتوزيع ، عمان ،ط1، 2004، ص :09.[16]

-عادل نذير البيري ، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث قراءة في كتاب سيبويه ، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة ، جمهورية العراق 2009، ص:26.[17]

[18]- محمد حسين علي الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن الكريم ، المرجع السابق ، ص: 52.

[19]-المرجع نفسه ، ص : 56.

-أحمد عمر المختار ن البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب، القاهرة ، ط06، 1988، ص:100.[20]

[21]-محمد حسين علي الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن الكريم ، المرجع السابق ، ص: 56، 57.

[22]-كمال بشر ، علم الأصوات ن دار غريب ، بيروت ، د،ط، 1986، ص:25.

[23]-إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، ط2، 1999.

-محمد خان ، الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ، و جهوده في بعث التراث اللغوي العربي ، مجلة العلوم الإنسانية ، عدد05، كلية الأداب و اللغات جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 20009، ص 01:[24]

-رميساء مزاهدية ، جهود عبد الرحمن الحاج صالح في الصوتيات و تكنولوجيات اللغة الحديثة ،جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، العدد2، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ،ص :135.[25]